تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { يومئذ } أي يوم القيامة { لا تنفع الشفاعة } أي عنده { إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا } كقوله : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } وقوله : { وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن ا لمن يشاء ويرضى } وقال : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } وقال : { ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له } وقال : { يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا } وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على ا D أنه قال [آتي تحت العرش وأخر ساجدا ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الان فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ـ فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود] فذكر أربع مرات صلوات ا وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء وفي الحديث أيضا [يقول تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان] الحديث .

وقوله : { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم } أي يحيط علما بالخلائق كلهم { ولا يحيطون به علما } كقوله : { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } وقوله : { وعنت الوجوه للحي القيوم } قال ابن عباس وغير واحد : خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهوقيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به وقوله : { وقد خاب من حمل ظلما } أي يوم القيامة فإن ا سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء وفي الحديث [يقول ا D : وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم] وفي الصحيح [إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة من لقي ا وهو به مشرك فإن ا تعالى يقول : إن الشرك لظلم عظيم] وقوله : { ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما } لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص